

الْقَلَاءُ الزَّاهِيَةُ مِنْ مَعَانِي الْفَاتِحَةِ الشَّافِيَةُ



صياغة
د. حمزة بن فايع الفتحي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ
الذي أُوتِيَتْهُ) حديث شريف صحيح .

(تأملتُ أنفعَ الدعاء ، فإذا هو سؤالُ العونِ على مرضاته ، ثم
رأيتُه في الفاتحة (إياك نعبد وإياك نستعين) . شيخُ الإسلام ابن
تيمية رحمه الله .

(فاتحةُ الكتابِ وأُمُّ القرآنِ والسبعِ المثاني ، والشفاءُ التامُ والدواءُ
النافع ، والرقيةُ التامةُ ومفتاحُ الغنى والفلاح ، وحافظةُ القوةِ
ودافعةُ الهمِّ والغمِّ والخوفِ والحزنِ لمن عرف مقدارها
وأعطاهها حقها ، وأحسنَ تنزيلها على دائه) . العلامة ابن القيم
رحمه الله .

المدخل

الحمد لله لا تُحصَى نعمه، ولا تُعد مننه، ولا يحاطُ بكرمه
وأفضاله، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه، وسيد أوليائه، نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

أما بعد:

فلا تزال سورة الفاتحة فاتحة العطاء، ومانحة السخاء، ورقية
الشفاء، وكنز الثراء، ولم تزل تلاوتها بلسماً للقلوب، وترياقا
للذنوب، ومفتاحا للدروب، تغمرُك معها البهجات، وتغشاك
السعادات، وتنالكَ المسرات...!
فافتح دينك بها، وعش لها صلاتك، واستدم بها حياتك،
وارشف منها عطاءً لوجودك ومشارك (الحمد لله ربِّ
العالمين).

افتُح بها الكتاب ، وافتُتحت بها الصلاةُ ، وافتُتحت بها الشروح
والمجالس ، ولم تزل مفتحة كل خير ، وبابة كل فضيلة ، وسبيل
كل مجد وانتصار ...!

فاتحة القرآن ، ومخزن العلوم ، وميدان الفهوم ، ومنتهى الأسرار
والكنوز ، أو جبها الله وفرض تكرارها في الصلوات ، وجعلنا
متعبدين بها صلاةً وتذكراً وتفكيراً... (لا صلاة لمن لم يقرأ
بفاتحة الكتاب). أخرجاه.

وقد كانت تتراد في آذاننا ونحن أطفال ، ولقناها في الصلاة
والتعلم ، وقد كانت الخطوة للامتحان ، ونشأنا على حبها
والهيام بآياتها وتوجيهاتها ، وأنها الكنز والشافية ، والفاتحة
القائمة .

ولقد طابت النفسُ هذه الأيام باستخراج فوائدها، وتفجير بعض كنوزها، واستلهاهم بعض أسرارها، وكم فيها من أسرار، وقد كان علماء تخصصوا لها وكتبوا فيها مصنفات كما صنع الإمام ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ)، في مقدمة (مدارج السالكين) ومواضع من كتبه، وألف الإمام ابن جماعة الكناني الشافعي رحمه الله (٧٣٣هـ)، رسالة أسماها (الفوائد اللائحة من معاني الفاتحة).

وجلُّ كتب التفاسير المطولة أطالت فيه وأطربت، لولا ما شان بعضها من الإيغال الإعرابي الذي أفقد الصفحات جودتها وروحانيتها، ولكننا هنا نقف كثيراً على أشهر الفوائد، وأحكم الفرائد، والتي هي جديرة أن تكون قلائد يحفل بها الطالب،

ويتزينُ بها الراغبُ ، وحرص القلم هنا على استنباطات علمية ،
وفوائد تربوية ، وتخففنا من مستعسر الكلام وغرائب الفوائد ،
حتى تكون المعلومات جليةً ، والمستخرجات زاهيةً وفيه..!
وقد تحركت بها الهمةُ بسبب الانشغال الذهني من قديم ، وتنبه
بعض الفضلاء ، لا سيما وموقعها الشرعي المعظم ، والتصاقها
بنا عبادةً وأحوالا ومنهاجًا..!

ولذلك تسارعت اليراعةُ للتقييد، وقد جادت بها الذهنيةُ في
أواخر رمضان ، وانتهت ليلة عيد الفطر المبارك ١٤٤٣ هـ ، تقبل
الله منا ومنكم أجمعين .

وعنوانها (القلائد الزاهية من معاني الفاتحة الشافية) . عليها
تجلّي شيئاً من علومها، وتكشف بعضاً من فهمها، وتبدي نوعاً

من مكنونها ومكنوزها ، التي يُفتخرُ بها في المجالس ، وتطيبُ
في المدارس ، وتعلو في الجوامع والمحافل ..! فما افتخر بشيء
كالعلم، ولا أُشيدَ بصرح كالفقه والتأويل ، وقد اتصلت الفاتحة
بأصح كتاب ، وأصدق كلام، وأطيب بيان وتنزيل ، ومجتنبها
مجتنب أنفس الثمار ، وأطيب الخيرات، وأبهج المكاسب .

ويطأها الصرْحُ البهيُّ كأنكم ** في جنّةٍ من حسنِه وأمانِ
وتبيتُ مشروح الفؤادِ وتاجُكم ** تاج الأكابرِ في أعزّ مكانٍ...!

وأعد هذه الرسالة قد تأخرت كثيرا ، لا سيما لمريدي التأليفات ،
ومالكي نواصي الأقلام والأفكار ، لأن الفكرة ستكون جامحةً،
والقلم مبادراً تجاه سورة تُردد كل يوم ، وتلى كل ساعة، ويعيش
معها المؤمنُ طيلة اليوم، ...!



فأين المتدبرونَ ليستخرجوا درسها، وأين المتوسمون ليقبسوا
نورها ...

فلقد عظم التقصير، وقل الادكار ، وتضاعف التسويف، وباتت
الصلاة مكرورةً بلا تفكر ، والتلاوة معتادةً بلا تيقظ، لكأن القرآن
يخاطب أمةً سوانا، أو ينذر أقوامًا آخرين ، ويسوق الحكمة
لقرون غابرة، لا تمت لنا بصلة أو رباط....

ولذلك نعود ونجدد الأقلام في شيء من معاني القرآن ، وهي
دعوة لكل الأشياخ ، وصيارفة الكتابة ، أن يجودوا بما تيسر نفعًا
للقراء ، وأن يسارعوا بما تقدّر، حضًا للتدبر، وأن يعتبروا من
وظائفهم الدعوية تقريب القرآن وتفسيره، واستخراج عبره
وتيسيره ، ويملكُ ذلك ويتعين على جمهرةٍ من أئمة المساجد ،

الذين رشحتهم الوزارة مشكورة ، وتفاخرت بهم بلادنا
المباركة، وهيات لهم كل أسباب العلم والمعرفة ، أدام الله أمنها
وبارك في خيراتها ، وحفظ قادتها وعلماءها، وسائر بلاد
المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

جدة بوابة الحرمين الشريفين

ليلة عيد الفطر

٣٠ / ٩ / ١٤٤٣ هـ



١ - الفاتحةُ أعظمُ سور القرآن ، وأفضلُها وأزكاها ، حوت
 علومًا ومعارف، وأصولاً ومعتقدات.. وافتُتِحَ بها الكتاب
 والصلوات ؛ جاء عند الترمذي وصححه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله
 عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ :
 أَتَحِبُّ أَنْ أَعَلِّمَكَ سُورَةَ لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا
 فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ؟ قَالَ :
 فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا
 فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا) وصححه الألباني في صحيح الترمذي .



٢- أنها السبع المثاني المعطاه من الله على وجه المنة: (وَلَقَدْ

آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) الحجر / ٨٧ ، وفي

البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ قَالَ لَهُ : (لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ

قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ... الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، هِيَ

السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ) . قال الحافظ :

"اِخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَّتِهَا " مَثَانِي " فَقِيلَ لِأَنَّهَا تُشَنَّى كُلَّ رَكْعَةٍ أَيْ

تُعَاد ، وَقِيلَ لِأَنَّهَا يُشْنَى بِهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَقِيلَ لِأَنَّهَا أُسْتُشِنَتْ

لِهَذِهِ الْأُمَّةِ لَمْ تَنْزَلْ عَلَى مَنْ قَبْلَهَا " .

٣- أنها تشتمل على شفاء القلوب وشفاء الأبدان . قال ابن

القيم رحمه الله : " فأما اشتمالها على شفاء القلوب : فإنها

اشتملت عليه أتم اشتمال ، فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين : فساد العلم ، وفساد القصد ، ويترتب عليهما داءان قاتلان وهما الضلال والغضب ، فالضلال نتيجة فساد العلم ، والغضب نتيجة فساد القصد ، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها ، فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال ، ولذلك كان سؤال هذه الهداية أفرض دعاء على كل عبد وأوجه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة ، لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة ، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه .

٤ - أنها سببٌ لشفاء الأبدان، كما في قصة اللديغ كما في

الصحيح: (وما يدريك أنها رقية). فقد تضمن هذا الحديث

حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه فأغنته عن الدواء وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء . كما قال ابن القيم رحمه الله.

٥- والواقع شاهد على ذلك قال الشيخ رحمه الله: "كان

يعرضُ لي آلامٌ مزعجة ، بحيث تكاد تقطع الحركة مني ، وذلك في أثناء الطواف وغيره فأبادر إلى قراءة الفاتحة وأمسح بها على محل الألم فكأنه حصة تسقط ، جربت ذلك مراراً عديدة ، وكنت آخذُ قدحاً من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مراراً فأشربه فأجدُّ به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء " انتهى. "مدارج السالكين" (١ / ٥٨).

٦- أنها متضمنة لأنفع الدعاء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

" تأملت أنفع الدعاء ، فإذا هو سؤال العون على مرضاته ، ثم

رأيت في الفاتحة في : (إياك نعبد وإياك نستعين) " انتهى . "مدارج

السالكين" (١ / ٧٨).

٧- أنها مفتاح الخيرات والسعادة ، قال ابن القيم رحمه الله :

فاتحة الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني والشفاء التام والدواء

النافع والرقية التامة ومفتاح الغنى والفلاح وحافظة القوة ودافعة

الهم والغم والخوف والحزن لمن عرف مقدارها وأعطاهها حقها

وأحسن تنزيلها على دائه وعرف وجه الاستشفاء والتداوي بها

والسر الذي لأجله كانت كذلك .

ولما وقع بعض الصحابة على ذلك رقى بها اللديغ فبرأ لوقته ،
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (وما أدراك أنها رقية) . زاد
المعاد " (٤ / ٣١٨) .

٨- أنها تحوي أعظم دعاء محتاج اليه على الدوام ، وهو
طلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، ... !

٩- كما أنها تشتمل على آداب الدعاء؛ بالحمد أولاً، ثم
الثناء، ثم التمجيد، وإفراد العبودية لله، والاستعانة به دون سواه،
قال الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ
بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدَ بِمَا شَاءَ» .

١٠ - كثرةُ أسمائها الدالة على شرفها، فهي فاتحة الكتاب -
فاتحة القرآن - أم القرآن - أم الكتاب - القرآن العظيم - السبع
المثاني - الوافية - الكنز - الأساس - النور - الحمد - الرقية -
الشفاء - الشافية - سورة الصلاة - الدعاء - المناجاة .. إلى غير
ذلك ..

١١ - أن هذه السورة متضمنة لمقاصد الكتب الصحيحة كلها

التوراة والإنجيل والزيبور .

١٢ - احتواؤها على بعض أسماء الله الحسنى : الله - الربّ -
الرحمن - الرَّحِيم - المالك . والله : وهو الإسم الأعظم لله عزَّ
وجلَّ (على قول طائفة من أهل العلم) الذي تلحق به الأسماء
الأخرى، ولا يشاركه فيه غيره .

١٣ - قال ابن القيم رحمه الله: " واسمُ "الله" دالٌّ على كونه

مألوهًا مَعْبُودًا، تَأَلَّهُهُ الْخَلَائِقُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَخُضُوعًا، وَفَزَعًا

إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ وَالنَّوَائِبِ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ

وَرَحْمَتِهِ، الْمُتَضَمِّنِي لِكَمَالِ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ، وَإِلَهِيَّتُهُ وَرُبُوبِيَّتُهُ

وَرَحْمَانِيَّتُهُ وَمُلْكُهُ مُسْتَلْزِمٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ كَمَالِهِ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ

ثُبُوتُ ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ بِحَيٍّ، وَلَا سَمِيعٍ وَلَا بَصِيرٍ وَلَا قَادِرٍ وَلَا

مُتَكَلِّمٍ وَلَا فَعَّالٍ لِمَا يُرِيدُ وَلَا حَكِيمٍ فِي أَفْعَالِهِ.

١٤ - مبني الفاتحة قائمٌ على العبودية، فإن العبودية إما محبة أو

رجاء أو خوف، و { الْحَمْدُ لِلَّهِ } محبة، و { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }

رجاء، و { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } خوف! وهذه هي أصول العبادة،

فرحم الله عبدا استشعرها، وأثرت في قلبه، وحياته.

١٥ - أنها تشتمل على الرد على جميع المبطلين من أهل

الملل والنحل، والرد على أهل البدع والضلال من هذه الأمة.

"وهذا يُعلم بطريقتين: مجمل ومفصل: وبيان ذلك: أن الصراط

المستقيم متضمن معرفة الحق وإيثاره وتقديمه على غيره ومحبه

والانقياد له والدعوة إليه وجهاد أعدائه بحسب الإمكان. والحق

هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما

جاء به علمًا وعملاً في باب صفات الرب سبحانه وأسمائه

وتوحيده وأمره ونهيه ووعدته ووعدته، وفي حقائق الإيمان التي

هي منازل السائرين إلى الله تعالى، وكل ذلك مسلم إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم دون آراء الرجال وأوضاعهم وأفكارهم

واصطلاحاتهم (مدارج السالكين: [١ / ٥٨]).

١٦ - قال ابن القيم رحمه الله: " اعلم أن هذه السورة اشتملت

على أمهات المطالب العالية أتمَّ اشتمال وتضمنتها أكمل

تضمن. فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة

أسماء، مرجع الأسماء الحسنی والصفات العليا إليها، ومدارها

عليها. وهي: (الله، والرب، والرحمن) وبُئيت السورة على

الإلهية والربوبية والرحمة. ف {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} مبنى على الإلهية.

و {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} على الربوبية وطلب الهداية إلى الصراط

المستقيم بصفة الرحمة. والحمد يتضمن الأمور الثلاثة: فهو

المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته. والثناء والمجد كمالان

لجده.

١٧ - وله رحمه الله: "وتضمنت إثباتُ المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها. وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل. وكل هذا تحت قوله: {مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}.".

١٨ - وقال أيضًا: وتضمنت إثبات النبوات من جهة كونه رب العالمين. فلا يليق به أن يترك عباده سدى هملا، ومن جهة ذكره {يوم الدين} فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم، فيثيبهم على الخيرات، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات.

١٨ - من فوائد ابن عثيمين رحمه الله: "إثباتُ الحمد الكامل لله عزّ وجلّ، وذلك من "أل" في قوله تعالى: {الحمد}؛ لأنها دالة على الاستغراق.

١٩- وأن الله تعالى مستحق مختص بالحمد الكامل من

جميع الوجوه؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه

ما يسره قال: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"؛ وإذا

أصابه خلاف ذلك قال: "الحمد لله على كل حال".

٢٠- ومعنى الحمد: قال ابن القيم: "فالحمد لله" الإخبار عنه

بصفات كماله سبحانه وتعالى، مع محبته والرضا به، فلا يكون

المحبُّ الساكت حامدًا، ولا المُثني بلا محبة حامدًا؛ حتى

تجتمع له المحبة والثناء".

وإذا كرّر الحمد مرة ثانية سمّي ثناءً، وإذا كرّر ثلاثة سمي

"تمجيدًا"؛ بدليل ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى: قسمتُ

الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدني ما سأل، فإذا قال العبد:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، قال الله: حمدني

عبدي، وإذا قال العبد: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣]، قال

الله: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة:

٤]، قال الله: مَجَّدَنِي عبدي.. " الحديث؛ رواه مسلم رحمه الله .

٢١- وقال ابن عثيمين: تقديم وصف الله بالألوهية على وصفه

بالربوبية؛ وهذا إما لأن "الله" هو الاسم العَلَم الخاص به، والذي

تبعه جميع الأسماء؛ وإما لأن الذين جاءتهم الرسل ينكرون

الألوهية فقط .

٢٢- عمومُ ربوبية الله تعالى لجميع العالم؛ لقوله تعالى: (رب

العالمين ..).

٢٣- إثباتُ هذين الاسمين الكريمين : { الرحمن الرحيم } لله

عزّ وجلّ؛ وإثبات ما تضمناه من الرحمة التي هي الوصف، ومن الرحمة التي هي الفعل..

٢٤- أن ربوبية الله عزّ وجلّ مبنية على الرحمة الواسعة للخلق

الواصلة؛ لأنه تعالى لما قال: { رب العالمين } كأن سائلاً

يسأل: ما نوع هذه الربوبية هل هي ربوبية أخذ، وانتقام؛ أو ربوبية رحمة، وإنعام؟ " قال تعالى: { الرحمن الرحيم } ..

٢٥- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ) : " فهذا تفصيل لقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الفاتحة: ٢]، فهذا يدل على أنه لا معبود إلا الله، وأنه لا يستحق

أن يُعبدَ أحد سواه، فقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ إشارة إلى عبادته بما

اقتضته إلهيته من المحبة والخوف والرجاء والأمر والنهي،
﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى ما اقتضته الربوبية من التوكُّل
والتفويض والتسليم".

٢٦- وقال تلميذه ابن القيم: وتقديم "العبادة" على
"الاستعانة" في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ
"العبادة" غاية العباد التي خلقوا لها، و"الاستعانة" وسيلة
إليها، ولأن "إياك نعبد" متعلق بألوهيته واسمه "الله"
"وإياك نستعين" متعلق بربوبيته واسمه "الرب" "فقدم "إياك
نعبد" على "إياك نستعين" كما قدم اسم "الله" على "الرب"
في أول السورة".

٢٧- وله رحمه الله أيضًا: وَسِرُّ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالْكِتَابِ

وَالشَّرَائِعِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ أَنْتَهَى إِلَى هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَعَلَيْهِمَا

مَدَارُ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، حَتَّى قِيلَ: أَنْزَلَ اللهُ مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ

كُتُبٍ، جَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِي

هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِي الْقُرْآنِ فِي الْمُنْفَصْلِ،

وَجَمَعَ مَعَانِي الْمُنْفَصْلِ فِي الْفَاتِحَةِ، وَمَعَانِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَهُمَا الْكَلِمَتَانِ الْمَقْسُومَتَانِ بَيْنَ الرَّبِّ وَبَيْنَ عَبْدِهِ نَصْفَيْنِ،

فَنَصِفُهُمَا لَهُ تَعَالَى، وَهُوَ "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" وَنَصِفُهُمَا لِعَبْدِهِ وَهُوَ "

إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ".

٢٨- وقال: والعبادة تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: غَايَةُ الْحُبِّ بَغَايَةُ الدُّلِّ

وَالْخُضُوعِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: طَرِيقُ مُعَبَّدٍ أَيْ مُدَلَّلٌ، وَالتَّعَبُّدُ:

التَّذَلُّ وَالْخُضُوعُ، فَمَنْ أَحْبَبْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ خَاضِعًا لَهُ، لَمْ تَكُنْ

عَابِدًا لَهُ، وَمَنْ خَضَعْتَ لَهُ بِلا مَحَبَّةٍ لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ حَتَّى تَكُونَ

مُحِبًّا خَاضِعًا، وَمِنْ هَاهُنَا كَانَ الْمُنْكَرُونَ مَحَبَّةَ الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ

مُنْكَرِينَ حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ..

٢٩- وقال أيضًا رحمه الله: وَالِاسْتِعَانَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: الثَّقَّةُ

بِاللَّهِ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَثِقُ بِالوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ، وَلَا

يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ مَعَ ثِقَتِهِ بِهِ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ، وَقَدْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مَعَ

عَدَمِ ثِقَتِهِ بِهِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، فَيَحْتَاجُ إِلَى

اعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ واثِقٍ بِهِ.

والتَّوَكَّلُ مَعْنَى يَلْتَمِسُ مِنْ أَصْلَيْنِ: مِنَ الثَّقَةِ، وَالْإِعْتِمَادِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وَهَذَانِ الْأَصْلَانِ وَهُمَا التَّوَكَّلُ، وَالْعِبَادَةُ قَدْ ذُكِرَا فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، قَرَنَ بَيْنَهُمَا فِيهَا، هَذَا أَحَدُهَا.

الثَّانِي: قَوْلُ شُعَيْبٍ ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]....".

٣٠- وذكر ابن القيم أيضا: أنه قدم (إياك نعبد ..) لأنها قسم الرب، ولأنَّ "العِبَادَةَ" الْمُطْلَقَةَ تَتَّضَمَّنُ "الِاسْتِعَانَةَ" مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، فَكُلُّ عَابِدٍ لِلَّهِ عُبُودِيَّةً تَامَةً مُسْتَعِينٌ بِهِ وَلَا يَنْعَكِسُ، وَلِأَنَّ "الِاسْتِعَانَةَ" جُزْءٌ مِنْ "العِبَادَةِ" مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، وَلِأَنَّ "الِاسْتِعَانَةَ" طَلَبٌ مِنْهُ، وَ"العِبَادَةَ" طَلَبٌ لَهُ.

وَلِأَنَّ " الْعِبَادَةَ " لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ مُخْلِصٍ، و " الْإِسْتِعَانَةَ " تَكُونُ مِنْ مُخْلِصٍ وَمِنْ غَيْرِ مُخْلِصٍ .

٣١- ومن أسباب تقديم (إياك نعبد): وَلِأَنَّ " الْعِبَادَةَ " حَقُّهُ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ، و " الْإِسْتِعَانَةَ " طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى " الْعِبَادَةِ "، وهو بيانُ صِدْقَتِهِ الَّتِي تَصَدَّقُ بِهَا عَلَيْكَ، وأداءُ حَقِّهِ أَهَمُّ مِنَ التَّعَرُّضِ لِصِدْقَتِهِ. وَلِأَنَّ " الْعِبَادَةَ " شُكْرُ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ، واللهُ يُحِبُّ أَنْ يَشْكُرَ، وَالْإِعَانَةُ فِعْلُهُ بِكَ وَتَوْفِيقُهُ لَكَ، وَلِأَنَّ " إِيَّاكَ نَعْبُدُ " لَهُ، و " إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " بِهِ، وما لَهُ مُقَدَّمٌ عَلَى مَا بِهِ،

٣٢- إِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَالنَّاسُ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ وَهُمَا الْعِبَادَةُ وَالْإِسْتِعَانَةُ أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٌ: أَجَلُّهَا وَأَفْضَلُهَا: أَهْلُ الْعِبَادَةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ عَلَيْهَا، فَعِبَادَةُ اللَّهِ غَايَةُ مُرَادِهِمْ، وَطَلَبُهُمْ مِنْهُ أَنْ

يُعِينَهُمْ عَلَيْهَا، وَيُوفِّقُهُمْ لِلْقِيَامِ بِهَا، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يُسْأَلُ
الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْإِعَانَةَ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ النَّبِيُّ
لِحَبِّهِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي
لَأَحِبُّكَ، فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ
وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

٣٣- وله رحمه الله: "فَأَنْفَعُ الدُّعَاءِ طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ،

وَأَفْضَلُ الْمَوَاهِبِ إِسْعَافُهُ بِهَذَا الْمَطْلُوبِ، وَجَمِيعُ الْأَدْعِيَةِ
الْمَأْثُورَةِ مَدَارُهَا عَلَى هَذَا، وَعَلَى دَفْعِ مَا يُضَادُّهُ، وَعَلَى تَكْمِيلِهِ
وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ، فَتَأَمَّلْهَا...".

٣٤- وَمُقَابِلُ هَؤُلَاءِ الْقِسْمِ الثَّانِي، وَهُمْ الْمُعْرِضُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ

وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ، فَلَا عِبَادَةَ وَلَا اسْتِعَانَةَ، بَلْ إِنْ سَأَلَهُ أَحَدُهُمْ

وَاسْتَعَانَ بِهِ فَعَلَى حُظُوذِهِ وَشَهَوَاتِهِ، لَا عَلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِ وَحُقُوقِهِ،
 ..". الْقِسْمُ الثَّالِثُ: مَنْ لَهُ نَوْعُ عِبَادَةٍ بِلا اسْتِعَانَةٍ، وَهُوَ لِأَنَّهُ نَوْعَانِ:
 أَحَدُهُمَا: الْقَدْرِيَّةُ الْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ بِالْعَبْدِ جَمِيعَ مَقْدُورِهِ مِنْ
 الْأَطْفَافِ، ... وَالنَّوْعُ الثَّانِي: مَنْ لَهُمْ عِبَادَاتٌ وَأُورَادٌ، وَلَكِنَّ
 حَظَّهُمْ نَاقِصٌ مِنَ التَّوَكُّلِ وَالِاسْتِعَانَةِ، لَمْ تَسْعَ قُلُوبُهُمْ لِارْتِبَاطِ
 الْأَسْبَابِ بِالْقَدْرِ، ... الْقِسْمُ الرَّابِعُ: وَهُوَ مَنْ شَهِدَ تَفَرُّدَ اللَّهِ بِالنَّفْعِ
 وَالضَّرِّ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَمْ يَدْرِ مَعَ مَا يُحِبُّهُ
 وَيَرْضَاهُ، فَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى حُظُوذِهِ وَشَهَوَاتِهِ
 وَأَغْرَاضِهِ، ... وَلَكِنَّ لَا عَاقِبَةَ لَهُ، فَإِنَّهَا مِنْ جِنْسِ الْمُلْكِ الظَّاهِرِ،
 وَالْأَمْوَالُ لَا تَسْتَلْزِمُ الْإِسْلَامَ، فَضَلَّاهُ عَنِ الْوِلَايَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ
 اللَّهِ، ...!

٣٥- إِذَا عُرِفَ هَذَا فَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُتَحَقِّقًا بِ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

[الفاتحة: ٥] إِلَّا بِأَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ

ﷺ. وَالثَّانِي: الْإِخْلَاصُ لِلْمَعْبُودِ، فَهَذَا تَحْقِيقٌ " ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

[الفاتحة: ٥] ."

٣٦- وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالنَّاسُ مُنْقَسِمُونَ بِحَسَبِ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ

أَيْضًا إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: أَهْلُ الْإِخْلَاصِ لِلْمَعْبُودِ

وَالْمُتَابَعَةِ، وَهَمِ أَهْلُ " ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] " حَقِيقَةً،

فَأَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَأَقْوَالُهُمْ لِلَّهِ، وَعَطَاؤُهُمْ لِلَّهِ،... الضَّرْبُ

الثَّانِي: مَنْ لَا إِخْلَاصَ لَهُ وَلَا مُتَابَعَةَ، فَلَيْسَ عَمَلُهُ مُوَافِقًا لِشَرَعٍ،

وَلَيْسَ هُوَ خَالِصًا لِلْمَعْبُودِ، كَأَعْمَالِ الْمُتَزَيِّتِينَ لِلنَّاسِ، الْمُرَائِينَ

لَهُمْ بِمَا لَمْ يَشْرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَهُؤُلَاءِ شِرَارُ الْخَلْقِ... الضَّرْبُ

الثالثُ: مَنْ هُوَ مُخْلِصٌ فِي أَعْمَالِهِ، لَكِنَّهَا عَلَى غَيْرِ مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ،
 كَجَهَالِ الْعِبَادِ، وَالْمُنْتَسِبِينَ إِلَى طَرِيقِ الزُّهْدِ وَالْفَقْرِ،... الضَّرْبُ
 الرَّابِعُ: مَنْ أَعْمَالُهُ عَلَى مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ، لَكِنَّهَا لِغَيْرِ اللَّهِ، كَطَاعَةِ
 الْمُرَائِينَ، وَكَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ رِيَاءً وَحَمِيَّةً وَشَجَاعَةً، ...

٣٧- وقال رحمه الله: " وَجَمِيعُ الرُّسُلِ إِنَّمَا دَعَوْا إِلَى " ﴿إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥] " فَإِنَّهُمْ كُلَّهُمْ دَعَوْا إِلَى

تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ عِبَادَتِهِ، مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَقَالَ نُوحٌ

عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:

٥٩] وَكَذَلِكَ قَالَ هُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَإِبْرَاهِيمُ

عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] "...".

٣٨- قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: وقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن

تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه

عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك،

ولا نستعين بغيرك. وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم

العام على الخاص، واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده. و

﴿العبادة﴾ اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال،

والأقوال الظاهرة والباطنة. و ﴿الاستعانة﴾ هي الاعتماد على الله

تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل

ذلك".

٣٩- افتقارُ العبد الدائم الى طلب الهداية دلالةً وتوفيقًا:

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ). ولو برز صلاحه ، وشعَّ إيمانه، فإن

التوفيقَ والعون كله مرده إلى الله... " ومن هاهنا يعلم اضطرار

العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة، وبطلان قول من

يقول: إذا كنا مهتدين، فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا،

من الحق أضعاف المعلوم. وما لا نريد فعله تهاونا وكسلا مثل

ما نريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك.

وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله، فأمر يفوته الحصر.

ونحن محتاجون إلى الهداية التامة. فمن كملت له هذه الأمور

كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام.

٤٠ - أن سؤال الهداية يشمل كل خير من أمر الدنيا والآخرة

ومنها أيضًا: الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة. وهو الصراط

الموصل إليها، فمن هُدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم

الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، هُدي هناك إلى الصراط

المستقيم، الموصل إلى جنته ودار ثوابه...

٤١ قال ابن القيم رحمه الله: قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

يتضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها، وهي بيده إن شاء

أعطاها عبده وإن شاء منعه إياها والهداية معرفة الحق والعمل به

فمن لم يجعله الله تعالى عالماً بالحق عاملاً به لم يكن له سبيل

إلى الاهتداء فهو سبحانه المتفرد بالهداية الموجبة للاهتداء التي

لا يتخلف عنها .

٤٢ - وقال رحمه الله: " والهداية هي العلم بالحق مع قصده

وإثاره على غيره، فالمهتدي هو العامل بالحق المرید له وهي

أعظم نعمة لله على العبد ولهذا أمرنا سبحانه أن نسأله هداية

الصراط المستقيم كل يوم وليلة في صلواتنا الخمس...".

٤٣ - وله أيضاً رحمه الله: " ولما كان سؤال الله الهداية إلى

الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب: علم

الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء

عليه، وتمجيدَه، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان

إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته،

وهاتان الوسيلتان لا يكاد يُردُّ معهما الدعاء،...".

٤٤ - وقال: وَقَدْ جَمَعَتِ الْفَاتِحَةُ الْوَسِيلَتَيْنِ، وَهُمَا التَّوَسُّلُ

بِالْحَمْدِ، وَالشَّانِ عَلَيْهِ وَتَمْجِيدِهِ، وَالتَّوَسُّلُ إِلَيْهِ بِعُبُودِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ،

ثُمَّ جَاءَ سُؤَالَ أَهَمِّ الْمَطَالِبِ، وَأَنْجَحِ الرَّغَائِبِ وَهُوَ الْهِدَايَةُ بَعْدَ

الْوَسِيلَتَيْنِ، فَالِدَّاعِي بِهِ حَقِيقٌ بِالْإِجَابَةِ.

وَنَظِيرٌ هَذَا دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي كَانَ يَدْعُو بِهِ إِذَا قَامَ يُصَلِّي مِنْ

اللَّيْلِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ «اللَّهُمَّ

لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ

الْحَمْدُ، ...

٤٥ - وقال أيضًا: وَلِذَلِكَ اشْتَدَّتْ حَاجَةُ الْعَبْدِ بَلْ ضَرُورَتُهُ، إِلَى

أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحْوَجَ مِنْهُ

إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لَهُ مِنْهَا.

فَإِنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ يَتَّصِفُ: عُلُومًا، وَإِرَادَةً، وَأَعْمَالًا، وَتُرُوكًا
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً تَجْرِي عَلَيْهِ كُلُّ وَقْتٍ، فَتَفَاصِيلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
قَدْ يَعْلَمُهَا الْعَبْدُ وَقَدْ لَا يَعْلَمُهَا، ...".

٤٦ - قالوا: وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية

بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية والثبات عليه، لأن

الألطف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى، قال الله تعالى:

(والذين اهتدوا زادهم هدى) الآية وقال تعالى: (والذين جاهدوا

فينا لنهدينهم سبلنا) والهداية هي الإرشاد والتوفيق والتبيين أو

الإلهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية.

٤٧ - وقال ابن القيم رحمه الله: حقيقٌ بالمفتي أن يكثر الدعاء

بالحديث الصحيح: اللهم ربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ،

فاطرَ السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق
بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"، قال: "وكان
شيخنا [يعني الإمام ابن تيمية] كثير الدعاء بذلك"، ثم قال:
"وكان بعضُ السلف يقول عند الإفتاء: سبحانك لا علم لنا إلا ما
علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. وكان مكحول يقول: لاحول
ولا قوة إلا بالله. وكان مالك يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله
العلي العظيم. وكان بعضهم يقول: رب اشرح لي صدري، ويسر
لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي. وكان بعضهم
يقول: اللهم وفقني واهدني وسددني، واجمع لي بين الصواب
والثواب، وأعذني من الخطأ والحرمان. وكان بعضهم يقرأ

الفاتحة ، وجربنا نحن ذلك فرأيناه من أقوى أسباب الإصابة . والمعول في ذلك كله على حسن النية، وخلص القصد، وصدق التوجه في الاستمداد من المعلم الأول؛ معلم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فإنه لا يرد من صدق في التوجه إليه لتبليغ دينه وإرشاد عباده ونصيحتهم والتخلص من القول عليه بلا علم، فإذا صدقت نيته ورغبته في ذلك لم يعدم أجراً إن فاته أجران والله المستعان". (إعلام الموقعين ٤/٢٥٧).

٤٨ - أن طريق الحق واحد معروف ، وقال ابن القيم : وذكر الصراط المستقيم مفرداً معرّفًا تعريفين : تعريفًا باللام، وتعريفًا بالإضافة، وذلك يفيد تَعَيُّنَهُ واختصاصه، وأنه صراط واحد، وأما

طرق أهل الغضب والضلال، فإنه سبحانه يجمعها ويفردها؛

كقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ لنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم خطًّا، وقال: ((هذه سبيل الله))، ثم خطَّ

خطوطًا عن يمينه وعن يساره، وقال: (هذه سبل، على كل سبيل

شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ

وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. (مدارج السالكين

.(٣٧/١)

٤٩ - في قوله: (صراط الذين أنعمت عليهم..) بيان وتفسير

لحقيقة الصراط المتبوع، وأن اهله هم المستقيمون الصالحون.

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

[الفاحة: ٧]، هم المذكورون في سورة النساء؛ حيث قال:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ

النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا *

ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

٥٠ - قال القنوجي في فتح البيان رحمه الله: (صراط الذين

أنعمت عليهم) بدل كل من كل، وفائدته التوكيد والتنصيص

على أن صراط المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة

والاستواء على أكد وجهه وأبلغه، بحيث لا يذهب الوهم عند

ذكره إلا إليه، والإنعام إيصالُ النعمة والإحسان إلى الغير إذا كان من العقلاء، ونعمُ الله تعالى مع استحالة إحصائها، ينحصرُ أصولها في دنيوي وأخروي، وأطلقه ليشمل كل إنعام، فإن نعمة الإسلام عنوانُ النعم كلها، فمن فازَ بها فقد حازها بحذافيرها. (فتح البيان).

٥١ - قال ابن القيم رحمه الله: ثم بين أن سبيل أهل هذه الهداية مغاير لسبيل أهل الغضب وأهل الضلال، فانقسم الخلق إذن ثلاثة أقسام بالنسبة إلى هذه الهداية: مُنعمٌ عليه بحصولها، واستمرار حظّه من النعم بحسب حظّه من تفاصيلها وأقسامها. وضالٌّ لم يُعطَ هذه الهداية ولم يُوفَّق لها. ومغضوب عليه عرفها ولم يُوفَّق للعمل بموجبها.

فالأول المنعم عليه قائم بالهدى ودين الحق علماً وعملاً،
والضالّ منسلخٌ عنه علماً وعملاً، والمغضوب عليه عارفٌ به
علماً، منسلخٌ منه عملاً، والله الموفق للصواب.

٥٢- وقال أيضاً رحمه الله: فَإِنَّ الْعَبْدَ مُضْطَّرٌّ كُلَّ الْإِضْطِرَارِ إِلَى

أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِمَا يَنْفَعُهُ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ وَأَنْ يَكُونَ مُؤَثِّرًا مَرِيدًا
لَمَا يَنْفَعُهُ مَجْتَنِبًا لَمَا يَضُرُّهُ فَبِمَجْمُوعِ هَذَيْنِ يَكُونُ قَدْ هَدِيَ إِلَى
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَإِنَّ فَاتَهُ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ سَلَكِ سَبِيلَ الضَّالِّينَ وَإِنْ
فَاتَهُ قَصْدُهُ وَاتَّبَاعَهُ سَلَكِ سَبِيلَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَبِهَذَا يَعْرِفُ
قَدْرَ هَذَا الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ وَشِدَّةَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَتَوَقَّفَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ عَلَيْهِ..".

٥٣ - وله أيضًا: والعبْدُ مفتقرٌ إلى الهداية في كل لحظة ونفس في

جميع ما يأتيه ويذره فإنه بين أمور لا ينفك عنها

أحدها أمور قد أتاها على غير وجه الهداية جهلا فهو محتاج إلى

أن يطلب الهداية إلى الحق فيها أو يكون عارفاً بالهداية فيها

فأتاها على غير وجهها عمدا فهو محتاج إلى التوبة منها أو أمور

لم يعرف وجه الهداية فيها علما ولا عملا ففاته الهداية إلى

علمها ومعرفتها وإلى قصدها وإرادتها وعملها أو أمور قد هدي

إليها من وجه دون وجه فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها....

٥٤ - سؤال الهداية من صفات عباد الرحمن قال: وقد أثنى الله

سُبْحَانَهُ على عباده الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ أُمَّةً

يهتدى بهم فقال تعالى في صفات عباده ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَهْتَدِي بِنَا فِي الْخَيْرِ. وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ يَقْتَدِي بِهِدَانَا.

وَقَالَ مَكْحُولٌ أَيْمَةٌ فِي التَّقْوَى يَقْتَدِي بِنَا الْمُتَّقُونَ.

٥٥- والصراط هو البين الواضح ، قال رحمه الله: وَلَا تَكُونُ

الطَّرِيقُ صِرَاطًا حَتَّى تَتَّضَمَّنَ خَمْسَةَ أُمُورٍ: الْإِسْتِقَامَةَ، وَالْإِيصَالَ

إِلَى الْمَقْصُودِ، وَالْقُرْبَ، وَسَعَتَهُ لِلْمَارِّينَ عَلَيْهِ، وَتَعْيْنَهُ طَرِيقًا

لِلْمَقْصُودِ، وَلَا يَخْفَى تَضَمُّنُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ

الْخَمْسَةِ...

٥٦- وحققة الصراط : قيل : إنه القرآن، وقيل : الرسول صلى

الله عليه وسلم وصاحبه من بعده، وقيل : الإسلام، قال ابن القيم:

والقولُ الجامعُ في تفسير الصراط المستقيمُ: هو الطريق الذي نصبه الله لعباده على السنة رسله ، وجعله موصلاً لعباده إليه ولا طريق لهم سواه، وهو أفراد بالعبودية وإفراد رسله بالطاعة، وهو مضمونُ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ولا تكون إرادة إلا متعلقة بمرضاته وهذا هو الهدى ودين الحق وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به، فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها وقطب رحاها.

٥٧- لما تعددت الآراء فيه ومدلولها واحد: قال ابن كثير

رحمه الله: " وكلُّ هذه الأقوال صحيحةٌ ، وهي متلازمة ، فإن من

اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ، واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر ، فقد اتبع الحق ، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن ، وهو كتاب الله وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا ، والله الحمد ."

٥٨- والصحيح أن الآية عامّة في كل من أنعم الله عليهم

ويشمل هذا من آمن بموسى وعيسى عليهما السلام ولم

يغيروا أو يبدلوا ، قال "الراغب الأصفهاني" في "تفسيره"

(١ / ٦٥) : " فالوجه : أن يجري ذلك على العموم في كل ما

صح أن يكون نعمة بدلالة قوله تعالى : وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً

وَبَاطِنَةً ، وهؤلاء المنعم عليهم : المعنيون بقوله تعالى : الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ هُمَ الْمَذْكُورِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ.

٥٩- قال ابن القيم رحمه الله: لو عرف أهل طاعة الله أنهم هم

المنعم عليهم في الحقيقة ، وأن لله عليهم من الشكر أضعاف ما على غيرهم وإن توسدوا التراب ومضغوا الحصى فهم أهل النعمة المطلقة. (مفتاح دار السعادة ١- ٢٩٣).

٦٠- إنما كانت النعمة عليهم بأنوار الهداية: وطيب العيش،

ولذاذة المنهج، وصفاء الطريق، فلا ضلالة تُؤرقهم ، ولا وحشة تنهكهم ، ولا حيرة ترددهم، قد استطابوا الطريق ، وانشرحت نفوسهم، وتباركت أعمارهم ، ولذلك هم في فخار عالٍ، وشرف رفيع .

٦١ - قال ابن القيم رحمه الله: ففِي ذِكْرِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَاتَّبَعَهُ وَالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مَنْ عَرَفَهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَالضَّالِّينَ وَهُمْ مَنْ جَهَلَهُ مَا يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الرَّسَالَةِ وَالنُّبُوءَةِ، لِأَنَّ انْقِسَامَ النَّاسِ إِلَى ذَلِكَ هُوَ الْوَاقِعُ الْمَشْهُودُ، وَهَذِهِ الْقِسْمَةُ إِنَّمَا أُوجِبَهَا ثُبُوتُ الرَّسَالَةِ.

٦٢ - لما كانت النعمة شريفةً وهي الأليق بكرمه وذاته
 أضافها: تعالى إلى نفسه وحذف فاعل الغضب (الذين أنعمت
 عليهم غير المغضوب). ونظيره كَقَوْلِ مُؤْمِنِي الْجِنِّ ﴿وَأَنَا لَا
 نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ . سورة
 الجن .

٦٣ - فضيلةُ أهل الاستقامة باختصاصهم بالنعمة: قال رحمه

الله : وَفِي تَخْصِيصِهِ لِأَهْلِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِالنِّعْمَةِ ، مَا دَلَّ عَلَى

أَنَّ النِّعْمَةَ الْمُطْلَقَةَ هِيَ الْمَوْجِبَةُ لِلْفَلَاحِ الدَّائِمِ، وَأَمَّا مُطْلَقُ النِّعْمَةِ

فَعَلَى الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَكُلُّ الْخَلْقِ فِي نِعْمَةٍ، وَهَذَا فَضْلُ النَّزَاعِ

فِي مَسْأَلَةٍ: هَلْ لِلَّهِ عَلَى الْكَافِرِ مِنْ نِعْمَةٍ أَمْ لَا فَالنِّعْمَةُ الْمُطْلَقَةُ

لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَمُطْلَقُ النِّعْمَةِ تَكُونُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، كَمَا قَالَ

تَعَالَى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ

كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٦٤ - في حذف فاعل الغضب والضلال إهانةً وتحقير لأهلها:

وأنهم في صغار، في مقابل إظهار فاعل الإنعام لأرباب الهداية

والاستقامة .. (غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

٦٥- وقال: وتأمل سرًا بديعًا في ذكر السبب والجزاء للطوائف

الثلاثة بأوجز لفظٍ وأخصره، فإنَّ الإنعامَ عليهم يتضمَّنُ إنعامه
بالهداية التي هي العلمُ النافعُ والعملُ الصالحُ، وهي الهدى ودينُ
الحقِّ، ويتضمَّنُ كمالَ الإنعامِ بحُسنِ الثوابِ والجزاء، فهذا تمامُ
النِّعمة، ولفظُ "﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]" يتضمَّنُ
الأمريين".

٦٦- وقال: وذكر غضبه على المغضوب عليهم يتضمَّنُ أيضًا

أمرين: الجزاء بالغضب الذي موجبُه غايةُ العذابِ والهوانِ،
والسببُ الذي استحقُّوا به غضبه سبحانه، فإنه أرحمٌ وأزفُّ من
أنَّ يغضبَ بلا جنايةٍ منهم ولا ضلالٍ، فكانَّ الغضبَ عليهم
مستلزمٌ لضلالهم، وذكر الضالين مستلزمٌ لغضبه عليهم وعقابه

لَهُمْ، فَإِنَّ مَنْ ضَلَّ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ الَّتِي هِيَ مُوجِبُ ضَلَالِهِ
وَعَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِ. فَاسْتَلْزَمَ وَصَفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّوَائِفِ الثَّلَاثِ
لِلْسَّبَبِ وَالْجَزَاءِ أَبْيَنَ اسْتِلْزَامٍ، واقتضاهُ أَكْمَلَ اقْتِضَاءٍ فِي غَايَةِ
الإيجازِ والبيانِ والفصاحةِ،...

٦٧- لما كان طريق الهداية نفيًا والناس ناكبون عنه:

منشغلون بديناهم نبه على سلوة الطريق، ومتعة السبيل، وهم
رفقاء المرحلة وأصحاب النعمة والمؤازرة في هذه المفازة
﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فأضاف الصراط إلى الرفيق
السالكين له، وهُم الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لِيَزُولَ عَنِ الطَّالِبِ
لِلْهُدَايَةِ وَخَشَةُ تَفَرُّدِهِ عَنْ أَهْلِ زَمَانِهِ وَبَنِي جِنْسِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ رَفِيقَهُ

في هذا الصراطِ هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَكْتَرِثُ بِمُخَالَفَةِ
النَّاكِبِينَ عَنْهُ لَهُ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الْأَقْلُونَ قَدْرًا، وَإِنْ كَانُوا الْأَكْثَرِينَ
عَدَدًا،...!

٦٨- مهما عزت صور الهداية: ففيها مهتدون وإن قلوا، وفيها
صالحون ولو هانوا، فلا تستوحش لقلتهم واصبر وتصابر بهم
وبصحبتهم وقد قال بعض السلف: "عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا
تَسْتَوْحِشْ لِقَلَّةِ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ
الْهَالِكِينَ"، وكُلَّمَا اسْتَوْحِشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ فَاَنْظُرْ إِلَى أَفْضَلِ
سَبْقُوكَ، وَأَمَاجِدِ فَاقُوكَ وَاحْرِضْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِمْ، وَغُضِّ
الطَّرْفَ عَمَّنْ سِوَاهُمْ،...! واحمد الله على استبانة الحق، وقد
قيل:

قد رشحوك لأمرٍ إن فطنت له * * * فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

٦٩ - أن الهداية الصالحة طريق إلى صحة الفهم وسلامة

الاختيار ، قال ابن القيم رحمه الله : **صِحَّةُ الْفَهْمِ وَحُسْنُ**

الْقَصْدِ، مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ، بَلْ مَا أُعْطِيَ

عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلَ وَلَا أَجَلَ مِنْهُمَا، بَلْ هُمَا سَاقَا

الْإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَبِهِمَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمُ الَّذِينَ فَسَدَ قَصْدُهُمْ وَطَرِيقُ الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَسَدَتْ

فُهُومُهُمْ، وَيَصِيرُ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ حَسَنْتْ أَفْهَامُهُمْ

وَقُصُودُهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِينَ أَمَرْنَا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ

أَنْ يَهْدِينَا صِرَاطَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، ...

٧٠- وقال: وصِحَّةُ الفَهِمِ نُورٌ يَقْدِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ العَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ

بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالهُدَى وَالضَّلَالِ،
وَالغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَيُمَدُّهُ حُسْنَ القَصْدِ، وَتَحَرِّيَ الحَقِّ، وَتَقْوَى
الرَّبِّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَيَقْطَعُ مَادَّةَ اتِّبَاعِ الهَوَى، وَإِثَارَ الدُّنْيَا،
وَطَلَبَ مَحَمَدَةَ الخَلْقِ، وَتَرَكَ التَّقْوَى.

٧١- أولى الناس بالصراف المستقيم وفقهه: واتباعه وحمل

رسالته هم صحابة رسول الله فهم من المنعم عليهم، والمهتدين
الصالحين الذين عرفوا الحق وعملوا به، فقد فتحوا بلاد الكفر،
وقلبوها بلاد إسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى،
فآثارهم تدل على أنهم هم أهل الصراط المستقيم، ورأينا
الرافضة وأهل البدع بالعكس من ذلك في كل زمان ومكان، فإنه

قَطُّ مَا قَامَ لِلْمُسْلِمِينَ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا كَانُوا أَعْوَانَهُمْ عَلَى
 الْإِسْلَامِ، وَكَمْ جَرُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْ بَلِيَّاتٍ ، وَفَتَحُوا عَلَيْهِ
 مِنْ نِكَالٍ وَرِزْيَاتٍ ، رَدَّ اللَّهُ كَيْدَهُمْ فِي نَحْوَرِهِمْ .

٧٢- ذم من اتصف بالغضب والضلال وهم اليهود

والنصارى: وقد صح في ذلك حديث عدي بن حاتم مرفوعاً:

(فَإِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ النَّصَارَى ضَالَّةٌ).

ولكن لم يسمهم هنا لسرِّ قرآني نفيس، قال ابن القيم رحمه الله:
 وتأمل كيف قال المغضوب عليهم ولا الضالين ، ولم يقل اليهود
 والنصارى مع أنهم هم الموصوفون بذلك، تجريدا لوصفهم
 بالغضب والضلال الذي به غايروا المنعم عليهم ، ولم يكونوا
 منهم بسبيل ، لأن الإنعام المطلق ينافي الغضب والضلال فلا

يثبتُ لمغضوبٍ عليه ولا ضال ، فبارك من أودع كلامه من
الأسرار ما يشهد بأنه تنزيل من حكيم حميد.

٧٣- عبر في اليهود بالغضب والنصارى بالضلال مع تلازم

الوصفين: إذ كل مغضوب عليه ضال وكل ضال مغضوب عليه

، من باب ذكر المخالف بوصفه الشهير، وعادته الغالبة ، فاليهود

فقال في حقهم: ﴿بَسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ

عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ سورة البقرة. والنصارى

قال سبحانه فيهم: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي

دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا

كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ سورة المائدة.

٧٤- أن سبب تقديم اليهود على النصارى في الذم: أولاً : أنهم

متقدمون عليهم زماناً ، والثاني أنهم كانوا هم الذين يلون النبي

ﷺ من أهل الكتابين فإنهم كانوا جيرانه في المدينة ، والنصارى

كانت ديارهم نائية عنه ، ولهذا تجد خطاب اليهود والكلام معهم

في القرآن الكريم أكثر من خطاب النصارى كما في سورة البقرة

والمائدة وآل عمران وغيرها...!

٧٥- السبب في التعبير باسم المفعول في أهل الغضب: وفي

(الضالين) باسم الفاعل ، أن أهل الغضب ، من غضب الله عليهم

وأصابهم غضبه فهم مغضوب عليهم. وأما أهل الضلال ،، فإنهم

هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه ولهذا استحقوا

العقوبة عليه،...

٧٦- والسبب في الفصل بين الطائفتين: (بلا) لتأكيد النفي ،

وللمغايرة بين الفريقين ، وأيضًا أن (لا) إنما يعطف بها بعد النفي

فالإتيان بها مؤذن بنفي الغضب عن أصحاب الصراط المستقيم

كما نفى عنهم الضلال..

٧٧- سبب التعبير بضمير الجمع في (اهدنا) قيل : لأن كل

عضو من أعضاء العبد وكل حاسة ظاهرة وباطنة مفتقرة إلى

هداية خاصة به ، وقيل : بل يقال إن هذا مطابق لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وأن الإتيان بضمير الجمع في الموضعين أحسن

وأفخم ، فإن المقام مقام عبودية وافتقار إلى الرب تعالى ، وإقرار

بالفاقة إلى عبوديته واستعانتة وهدايته ، فأتى به بصيغة ضمير

الجمع ، أي نحن معاشر عبيدك مقرون لك بالعبودية ..!

٧٨- وَيَشْمَلُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ وَالضَّالُّونَ فِرَقَ الْكُفْرِ

وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ: فَاَلْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ جِنْسٌ لِلْفِرَقِ الَّتِي

تَعَمَّدَتْ ذَلِكَ وَاسْتَحَفَّتْ بِالِدِّيَانَةِ عَنْ عَمْدٍ أَوْ عَنْ تَأْوِيلٍ بَعِيدٍ

جِدًّا، وَالضَّالُّونَ جِنْسٌ لِلْفِرَقِ الَّتِي أَخْطَأَتِ الدِّينَ عَنْ سُوءِ فَهْمٍ

وَقَلَّةٍ إِضْغَاءٍ؛ وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ مَذْمُومٌ لِأَنَّ مَأْمُورُونَ بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ

الْحَقِّ وَصَرَفِ الْجُهْدِ إِلَى إِصَابَتِهِ، وَالْيَهُودُ مِنَ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ

وَالنَّصَارَى مِنَ الْفَرِيقِ الثَّانِي " . انظر (التحرير والتنوير لابن

عاشور).

٧٩- وَفِي وَصْفِ الصِّرَاطِ الْمَسْئُولِ فِي قَوْلِهِ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾

[الفاحة: ٦] بِالْمُسْتَقِيمِ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ وَاضِحُ الْحُجَّةِ ،

قَوْمِ الْمَحَجَّةِ لَا يَهْوِي أَهْلُهُ إِلَى هُوَّةِ الضَّلَالَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ
إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١].

٨٠- قال القرطبي رحمه الله : وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ
وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْإِمَامِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ إِرَادَةَ الْإِنْسَانِ كَافِيَةٌ فِي
صُدُورِ أَفْعَالِهِ مِنْهُ، طَاعَةً كَانَتْ أَوْ مَعْصِيَةً، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَهُمْ
خَالِقٌ لِأَفْعَالِهِ، فَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ فِي صُدُورِهَا عَنْهُ إِلَى رَبِّهِ، وَقَدْ
أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِذْ سَأَلُوهُ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ، .

٨١- قال القرطبي رحمه الله : سورة الفاتحة مشتملة على أربعة
أنواع من العلوم هي مناط الدين أحدها : علم الأصول وإليه
الإشارة بقوله (الحمد لله.. إلى الرحيم) ، ومعرفة النبوات وهي

قوله (أنعمت عليهم) ومعرفة المعاد هي قوله (مالك يوم الدين)
 وثانيها : علمُ الفروع وأعظمه العبادات وهي (إياك نعبد) والعبادة
 مالية وبدنية وثالثها : علم الأخلاق وهو قوله (إياك نستعين إلى
 المستقيم) ورابعها :، علمُ القصص والأخبار عن الأمم السالفة
 السعداء منهم والأشقياء ، وهو المراد بقوله (أنعمت عليهم) إلى
 آخر السورة انتهى ملخصاً.

٨٢- في قوله: (غير المغضوبِ عليهم) إثباتُ صفة الغضب لله

تعالى، قال ابن عثيمين رحمه الله: وغضب الله سبحانه وتعالى
 صفة من صفاته، لكنها لا تماثل صفات المخلوقين، ونحن
 عندما نغضب تنتفخ الأوداج منا ، ويحمر الوجه ويقفُّ الشعرُ ،
 ويفقد الإنسان صوابه كذا؟ نعم، هل هذه العوارض تكون في

غضب الله ؟ لا، لأن الله ليس كمثلته شيء بل هو غضب يليق بالله عزوجل، وإذا قلنا بهذا وسلمنا بأن الغضب صفة حقيقية برئت بذلك ذمتنا وسرنا حسب ما أمرنا الله به ورسوله،...!

٨٣- وقال أيضًا رحمه الله: فإذا قالوا: إن الغضب هو غليان

القلب وانتفاخ الأوداج الأوردة واحمرار العيون وهذا لا يليق بالله عزوجل؟ قلنا لهم أيضا: الإرادة ميل الإنسان إلى ما ينفعه أو يدفع ضرره، وهذا أيضا نقص لا يليق بالله، فما يلزمكم في الغضب يلزمكم في الإرادة. ! فإذا أثبتتم الإرادة لزمكم إثبات الغضب، وإن نفيتم الغضب لزمكم نفي الإرادة... وهذا واضح؟ أهل السنة والجماعة ما يلزمهم إلا شيء، يقولون نحن ثبت الغضب ونثبت الإرادة، ونثبت كل صفات الله سبحانه

وتعالى ، ولكننا ننزه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين
ومماثلتهم، ...!

٨٤- في اتضاح سبيل المنعم عليهم: والطوائف المخالفة لهم،

حُضُّ للمسلم بسلوك الطريق البين، ومشابهة الصالحين
والتخلق بخلقهم وهديتهم .

٨٥- في تكرر هذه السورة سبع عشرة مرة في الفرائض دون

النوافل : دليل على عظمتها، واحتياج العباد الى فقها وتأويلها،

وأن المؤمن الموفق من ارتسم خطاها ، واقتفى سراها.

٨٦- ارتفاع منازل المنعم عليهم المهتدين : وتفاوتهم في

المكانة والفضل، فقد فُسرَت بآية النساء .. (من الذين أنعم الله

عليهم من النبيين والصدّيقين). فالأنبياء هم رسل الله المبلغون

دينه، والحاملون دعوته، والصدّيق المبالغ في الصدق كما تفيده الصيغة، وقيل هم فضلاء أتباع الأنبياء، والشهداء من ثبت لهم الشهادة في سبيل الله وضحوا بأرواحهم وما ضعفوا وما استكانوا، والصالحون أهل الأعمال الصالحة، المسارعون فيها .

٨٧- أن منتهى أولئك الأبرار جنات النعيم واجتماعهم

بإخوتهم: وهو غاية ما يطمح له كل عامل لله تعالى، راج ثوابه ورحمته ، فينعم بالجنة وبصحبتهم (وحسن أولئك رفيقا) سورة النساء .

٨٨- كما تصاحب الأخياري الدنيا: تصاحبوا في الآخرة، وفي

ذلك دليل على أهمية تخير الصحبة ، وانتقاء القدوة.. (صراط الذين أنعمت عليهم).

٨٩- كلُّ من تشابه بفرق الضلال والانحراف وجب الفرار

عنه: والتباعد عن فكره وسلوكه ، وقد صح قوله عليه الصلاة

والسلام: (المرءُ على دين خليله).

٩٠- قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ: وَأُمُّ

القرآن، والسبعُ المثاني، والشفاءُ التام، والدواءُ النافع، والرُّقيةُ

التامة، ومفتاح الغنى والفلاح، وحافظةُ القوة، ودافعةُ الهم والغم

والخوف والحزن. لمن عرف مقدارها وأعطاهما حقها، وأحسنَ

تنزيلها على دائه، وعَرَفَ وجهَ الاستشفاء والتداوي بها، والسرَّ

الذي لأجله كانت كذلك . (الطب النبوي (٤-٣٤٧).

٩١- أن الهدايةَ والإضلالَ مردُّها إلى الله تعالى كما نص على

ذلك في آيات كثيرة، قال تعالى: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا

وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ) سورة البقرة.

فهو سبحانه الهادي لعباده والشارح لصدورهم ، وهو الذي
يضلهم بمعنى يخلق أسباب الضلال من شهوات وشبهات ،
وليست بمعنى أنه سبحانه يحث على الضلال أو يجبه
ويرضاه...!

٩٢ - أنه تعالى صاحبُ النعمةِ والفضل : ونعمته بالهداية أجلّ

النعم وأحبها وأعظمها (واذكروه كما هداكم) سورة البقرة .

٩٣- جوازُ ذكر أعداء الدين بما يسوؤهم ويعينهم من

الصفات الدنيئة: كما قال تعالى: (نسوا الله فَنسيهم) سورة

التوبة: ٦٧ .

٩٤- في السورة ما يشعر بوجوب تعلم معرفة الإله أولاً : ثم

الأحكام الفرعية ، لأنه قدم صفات الرب على الدعاء بالاستعانة

والهداية .

٩٥- فيها ضرورة العناية بالآخرة والاستعداد لها: لأن من

أيقن بجزائها وديانها تأهب لها وتزود (وتزودوا فان خيرَ الزاد

التقوى) سورة البقرة.

٩٦- إنما تُعرفُ الاستقامةُ بالمنهج الشرعي: والاتباع السني،

فمن حاد عنها تورط في العوج والانحراف، وتتكشف كثير من المخالفات بعدم استقامتها..!

٩٧- تعجُّ الحياةُ بضُرط كثيرة، ومسالك متشعبة: وأهواء

متباينة، ويجمعها انحرافها وتخبطها، وفقدانها أنوار الاستقامة،

ولذلك كانت الطريق الى الله سهلا مستقيما وميرا.. (قُلْ إِنِّي

عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ

إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) سورة الأنعام: ٥٧ .

٩٨- أن حرمان الهداية مؤذناً بالوقوع في المعصية المغضبة:

والضلالة الموحشة، والتي لا تُسترُ بمال مستبحر، ولا ثروات

متضخمة...!

٩٩- أن الإيمان والهدى لا يجامع غضب الله تعالى ولا

ضلال العبد: فلا يجوز وصف المؤمن ، ولا سبه بهما..! انظر

(الفوائد اللائحة لابن جماعة ص: ٤٦).

١٠٠- يشرع التأمين عقب الفاتحة باعتبار السنة الصحيحة

الصَّريحَةَ الثابتة تَوَاتُرًا: فَقَدْ دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ وائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ:

«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ ﴿غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقَالَ آمِينَ مَدًّا بِهَا صَوْتُهُ» وَلِأَبِي

دَاوُدَ "رَفَعَ بِهَا صَوْتُهُ". وَهِيَ اسْمُ فِعْلٍ مَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ،

وَقِيلَ: وَيَجُوزُ فِيهِ مَدُّ الهمزة وقصرها، ولا يجوز تشديد

الميم،...!

وأنشدوا للمحنون: يا رب لا تسلبني حُبَّها أبداً... وَيَرْحَمُ اللَّهُ
عَبْدًا قَالَ آمِينًا وَمَثَلُوا لِلْقَصْرِ بِقَوْلِ الْقَائِلِ: تَبَاعَدَ عَنِّي فَطَحُلُ إِذْ
دَعَوْتُهُ... "أَمِينَنَ" فزاد الله ما بيننا بُعداً..! وفي الصحيحين عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ ،
فَأَمَّنُوا ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينِ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ) .

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله في بعض فتاويه: "أيها السائل!
قول (أمين) بعد الفاتحة ليست من آيات القرآن، وليست من
آيات الفاتحة، وإنما هي دعاء بمعنى: استجب يا ربنا، ف (أمين)
معناها: اللهم استجب، فهي سنة وليست واجبة بل سنة بعد
الفاتحة يقولها القاري في الصلاة وغيرها، يقول: (أمين) إذا قرأ

الفاتحة، يقولها الإمام.. يقولها المأموم.. يقولها المنفرد في الصلاة وخارجها، آمين، هذه السنة، ليست واجبة ولكنها مستحبة، وهي دعاء وليست آية من الفاتحة ولا من غيرها، وإنما هي دعاء. نعم.

والله تعالى أعلم وأحكم..

**تَمَّ الْكِتَابَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ .**

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٠٠) كتاب منها :

- سلاّمُ العلمِ ومدارجُ الفهم .

- الخطبُ الحديّثية

- أربعون المعالي

- الأربعون الأكثرية

- موقظاتُ التدبرِ القرآني

- نثار العلم

- من جماليات السيرة النبوية

- محائليّات (شعر) .

- اليراعةُ الرّمضانية

- مواقف علمية للأئمة الأسلاف. وكلها من (دار تكوين).
- طلائع السلوان - دار ابن خزيمة .
- نسمة من أم القرى .
- موات المروءة (شعر).
- وطن ومنن (شعر).
- الطلاب الأعظم (شعر)
- فهزموهم بإذن الله (شعر).
- توهجات النيل (شعر).
- كورونا وليمونا (شعر).
- مدائن الألباني. (شعر).

- عاصفة الحزم (شعر).
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .
- سلسلة أربعينيات حديثية متنوعة .
- أزاهير الروضة
- شجن المنابر
- قواعد قرآنية لفهم الدعوة .
- مقدمات التغيير النبوي .
- من جماليات السيرة .
- الاحتفالُ بالسبع الطوال .
- محاسن التزيين بمعاني المئين
- حسنُ التداني من لبّ المثاني .

- شجنُ المنابر وهتنُ المحابر.
- طلعةُ الشمس (سنن نورانية).
- مسامرات أدبية على أنغام المتنبى.

للتواصل:

hamzah1000@outlook.com

